ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Asst. Nazem Mutair Mohammed

Asst. Haider Nasser Abdullah

University of Wasit / College of Education for the Humanities

Email:
nmuhammad@uowasit.edu.iq
habdullah@uowasit.edu.iq

Keywords:

Fundamentals , Cities , Environment , Sustainability

CC BY

A r t i c l e i n f o

Article history:

Received 15.Febr.2025

Accepted 25.Mar.2025

Published 28.Aug.2025

Fundamentals of Selecting Islamic City Celebrities - A Study in the Indian Environment-

A B S T R A C T

The aim of this study is to explore the methodology of Islamic thought in the planning of Arab-Islamic cities, which were established at different periods and took into account various aspects, especially environmental factors. The environmental element was an integral part of urban planning during the Rashidun era, which contributed to the success and continuity of these cities. During this period, Muslims paid great attention to environmental and geographical factors when founding new cities or selecting settlement locations to ensure the sustainability and prosperity of these cities. In addition, there were other factors that had to be present alongside the environmental aspect, such as strategic location in terms of military and commercial considerations, as well as other factors related to urban life.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol60.Iss3.4743

أساسيات اختيار مشاهير المدن الإسلامية – دراسة في البيئة المستدامة –

م.م. ناظم مطير محمد م.م. حيدر ناصر عبدالله

جامعة واسط ـ كلية التربية للعلوم الإنسانية

الملخص

تهدف هذه الدراسة التعرف إلى منهجية الفكر الإسلامي في تخطيط عدد من مشاهير المدن العربية الإسلامية التي تم تأسيسها في فترات مختلفة ، التي كانت تراعي كافة الجوانب وخاصة الجوانب البيئية، إذ كان العامل البيئي جزءا لا يتجزأ من عملية التخطيط العمراني في العصر الراشدي، مما ساهم في نجاح واستمرارية تلك المدن، حيث كان المسلمون في تلك الفترة يولون اهتماما كبيرا للعوامل البيئية والجغرافية عند تأسيس المدن الجديدة أو اختيار مواقع للاستقرار، وذلك

لضمان استدامة هذه المدن وازدهارها ، اضافة الى ذلك كانت هناك عوامل لابد ان تتوفر إلى جانب العامل البيئي مثل الموقع الاستراتيجي من الناحية العسكرية والتجارية والعوامل الأخرى التي ترتبط بالحياة المدنية.

الكلمات المفتاحية : أساسيات ، المدن ، البيئة ، الاستدامة

المقدمة

يعد تخطيط المدن الإسلامية مظهرا حضاريا وعربيا إسلاميا ، وكان العراق قد حظي بهذا المظهر الحضاري في التاريخ العربي الإسلامي، إذ قامت في أرض السواد مدينة البصرة سنة ١٤هـ ومدينة الكوفة سنة ١٧هـ في العصر الراشدي وكذلك خططت مدينة واسط سنة ٨٣هـ في العصر الأموي وخططت مدينة بغداد سنة ١٤٥هـ ومدينة سامراء في سنة ٢٢١هـ في العصر العباسي، وتلتقي تخطيطات تلك المدن في كثير من الخصائص ، وكانت العوامل الجغرافية والبيئية في مقدمة العوامل التي أرتكز عليها قيام مشاهير المدن الإسلامية.

افترضنا في بحثنا هذا أن اختيار المدن الإسلامية قد تأثر بعوامل عديدة ، منها عوامل سياسية وعسكرية واجتماعية وبيئية وغيرها ، ألا أن هناك رأي عام واضح المعالم بأن العامل البيئي والصحي كان في مقدمة العوامل التي ساهمت في بناء المدن، محاولين بيان ذلك كله من خلال مقارنة الروايات وتحليلها وتوظيف الدليل والبرهان العقلي والنقلي .

نجح المسلمون في التصدي للمشكلات المناخية التي واجهتهم عند اقامة مدنهم ومبانيهم في الأقاليم المفتوحة من خلال الاعتماد على الموارد والطاقات الطبيعية المتجددة المتوفرة في البيئة .

قسم البحث إلى مبحثين :

المبحث الأول :اساسيات اختيار مدن البصرة والكوفة والفسطاط

أولا: البصرة

هناك آراء عديدة حول تسمية مدينة البصرة، لعل أغلبها اتفق على أنها مأخوذة من الطبيعة الجغرافية لتربة المنطقة، فهناك رأي في أحد التفسيرات يقصد بكلمة البصرة الحجر الأبيض الرخو (البكري، ١٤٠٣هـ) ، وفي رواية ثانية قصد بها الكذان ومعناه الحجارة الرخوة فيها بياض. (البكري، ١٤٠٣هـ) ، و رأي ثالث ذكره ياقوت الحموي قال أن البصرة تعني الأرض الطيبة الحمراء، وذكرها كذلك أنها الطين العلك، وفي رواية أخرى له أنها الأرض التي حجارتها جص (الحموي، ١٩٩٥).

وعلى الرغم من تعدد الآراء التي اختلفت في التفسير، لكنها اتفقت على إنها كلمة عربية، وهناك رأي آخر مخالف أشار إلى أن كلمة البصرة معربة يرجع أصلها إلى كلمتين مركبتين، هما: بس راه ويقصد بها مفترق الطرق او ملتقى الطرق لأنها كانت ذات طرق كثيرة تشعبت منها الى أماكن مختلفة (ابن منظور، ١٤١٤ هـ) (الزبيدي، ١٢٠٥ هـ)"

وبخصوص نشأتها، فأنها نشأت في سنة ١٤هـ، حينما كتب القائد عتبة بن غزوان* إلى الخليفة عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ) يستأذنه في بناء موضع ليجتمع فيه العرب بقوله: **"لابد للمسلمين من منزل يشتون به إذا شتوا، ويمكثون فيه إذا**

* عتبة بن غزوان بن جابر بن نسيب بن زيد بن مالك ...بن قيس بن عيلان بن مضر، كان رجلا طوالا جميلا وهو قديم في الاسلام هاجر الى ارض الحبشة في الهجرة الثانية هاجر الى المدينة وهو أبن اربعين سنة أستعمل عمر بن الخطاب عتبة بن غزوان على البصرة فهو الذي مصر

انصرفوا من غزوهم ، فكتب إليه أجمع أصحابك في موضع واحد وليكن قريب من الماء والرعي وأكتب أليه بصفته" (البلاذري، ١٩٨٨) . وهذه دلالة واضحة تبين مدى أهمية العوامل البيئية والجغرافية لدى السلطات العليا في الدولة العربية الإسلامية المتمثلة بالخلافة، وقد كتب عتبة بن غزوان إليه "**أني وجدت ارضا كثيرة القصبة في طرف البر إلى الريف ودونها منافع ماء فيها قصباء ،فلما قرأ الكتاب قال هذه أرض نظرة قريبة من المشارب والمراعي والمحطب وكتب إليه أن انزلها الناس فأنزلهم إياها**" (البلاذري، ١٩٨٨).

وركز عتبة في رده على رسالة الخليفة عمر على مميزات رئيسية تعلقت بالموضع بأنها قريبة من مناقع المياه وتقع على طرف البر وتكثر فيها القصب والقضة، فوافق الخليفة قائلا انها أرض نظرة قريبة من المشارب والمراعي والمحطب (ناجي، ٢٠٠١).

ويبدو ان الخليفة من خلال وضع هذه الشروط في تمصير مدينة البصرة التي ركزت على عوامل بيئية وجغرافية كانت دلالاتها واضحة بأن معيار البيئة كان موجود وقتذاك في بناء المدن، أضافة الى ذلك ان سبب اختيار مدينة البصرة وتمصيرها هو وقوعها على طرف البر وهذه نابعة من أهمية أن ألا يكون هنالك فاصل أو حاجز كنهر أو سلسلة جبال يفصل بينها وبين مركز الدولة الإسلامية في المدينة المنورة.

ثانيا: الكوفة

سميت الكوفة لأن سعد بن أبي وقاص* لما أفتتح القادسية نزل الأنبار أذاهم البق فأرتاد لهم موضع الكوفة فقال: "**تكوفوا في هذا الموضع أي اجتمعوا... "** (البكري، ١٤٠٣هـ، صفحة ١١٤٢) .وهناك رأي اخر سميت الكوفة نسبة الى جبل صغير كان فيها يسمى كوفان. (البكري، ١٤٠٣هـ).

وبخصوص نشأتها، فبعد احتلال المدائن في خلافة عمر بن الخطاب فكرة قيادة الجيش وبعد المشاورة مع الخلافة أن يوجد وا بديل لها ومقر للجيش العربي الإسلامي، وذكر بعض المؤرخين والجغرافيين العرب عدم تقبل العرب المدائن وقرارهم في تركها هي لأسباب بيئية فقد ورد ان الخليفة عمر فد كتب الى سعد ابن ابي وقاص كتابا أستفسر فيه عن جملة أمور مهمة إذ قال: "**انبئني ما لذي غير الوان العرب واحوالهم**"، (الطبري، ١٤١٥هـ، صفحة ٤١). وهذه دلالة بأن الخليفة لاحظ هذه الملامح عندما قدم اليه وفد من اهل المدائن وقد كان جواب سعد قائلا: "ان العرب خددهم وكفى الوانهم وخومة المدائن ودجلة" (الطبري، ١٤١٥هـ، صفحة ٤١) .

وبعد التمعن بالنصوص التاريخية تبين أن من الأسباب التي أدت إلى اختيار مدينة الكوفة هي أسباب صحية ومناخية، وذلك عندما لاحظ الخليفة التغير الملحوظ على وجوه الوفد الذي قابله، وثبت ذلك بأن التغيير كان بسبب العوامل البيئية عندها أدرك الخليفة لابد من وجود مكان ثان توجد فيه مواصفات تتلاءم مع طبيعة العرب ، وحينها كان جواب الخليفة ان العرب لا يلائمها من البلدان والمناخ إلا تلك التي تلائم أبلهم (الحموي، ١٩٩٥) ، وقد ربط بين طبيعة البادية المناخية والمكان الذي سيكون مقر لهم ولعوائلهم إضافة إلى ذلك وخومة مناخ المدائن على أحوال العرب

البصرة وأختطها وكانت ولايته على البصر ستة اشهر توفي في البصرة سنة ١٧هـ.أبن سعد ،الطبقات،ج٣/ص٧٢؛ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١/ص٤٩٥؛الذهبي ،سير أعلام النبلاء ،ج٣/ص١٨٨ .

* سعد بن مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب ...ابن النظر ابن كنانة القريشي أسلم وعمره سبعة عشر سنة وهو الذي بنى الكوفة وولي العراق ثم عزله عمر ولما تولى عثمان الخلافة ولاه على الكوفة توفي في المدينة سنة ٥٥هـ وكان قصيرا دحداحا غليظا ذا هامه شثن الاصابع .ابن الاثير ،اسد الغابة ،ج٢/ص٢١٤؛ ابن منظور ،مختصر تاريخ دمشق ،ج٩/ص٢٥٠؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ،ج٢/ص٤٩٠.

وتصرفاتهم ،أي أن العرب كرهوا السكن في المدائن لأنهم استوخموها واستباؤها وقد تذمروا كثيرا من المنطقة لكثرة الذباب والبعوض (ناجي، ٢٠٠١) .

ويبدو من ذلك أن الظروف المناخية والصحية كانت سبب في أن يكتب الخليفة إلى القائد سعد ابن أبي وقاص بالبحث عن منطقة أخرى ملائمة لكي تكون مستقرا ومخيما للعرب ، وأن موضع الكوفة الذي تم الاتفاق عليه لم يأت اختيارا عبثيا ؛ إنما كان اختيارا مدروسا حيث تذكر الروايات التاريخية إلى تروي القائد سعد وتدقيقه في الموضع قبل اتخاذ الاستقرار وهناك عدة اراء في اختيار مدينة الكوفة الرأي الأول إن رجلا يدعى عبد المسيح بن بقيلة الغساني قد عرض على سعد أن يدله على مكان يقع في أرض (انحدرت عن الفلاة وارتفعت عن المباق) وفي رواية أخرى (ارتفعت عن المبقه) وكان هذا الموضع الكوفة . (ناجي، ٢٠٠١). ومن خلال هذه الرواية نجد بوضوح الاهتمام بالجوانب المناخية والصحية فهي مرتفعة وخالية من الهوام والحشرات.

وقد اورد البلاذري رواية بأن سعد بن ابي وقاص ارتاد مع المقاتلين العرب بعد تلقيه توجيه من الخليفة ان يتحول من المدائن فجاء الى موضع الكوفة واخذ يتجول حتى انتهى الى مكان يدعى خد العذراء حيث ينبت الاقحوان والخزمى والشيخ والقيصوم والشقائق فأعجب به واختاره ليكون مدينة الكوفة (البلاذري، ١٩٨٨).

بعد التمعن بالنصوص التاريخية حول اختيار مدينة الكوفة نرى ان من أهم اسباب اختيارها كانت لأسباب صحية ومناخية وهذه دلالة واضحة تبين ان العرب كانوا يضعون امام اعينهم في بناء المدن البيئة المستدامة لتلك المدينة التي يراد بنائها وقتذاك.

وذكر ياقوت الحموي بقوله: "**الكوفة سفلت عن الشام ووبائها وارتفعت عن البصرة وحرها فهي برية مريئة مربعة أذا أتتنا الشمال ذهبت مسيرة شهر على مثل رضراض الكافور وإذا هبت الجنوب جائتنا ريح السواد وورده وياسمينة وأترنجه ، مأونا عذب وعيشنا خصب** ..." (الحموي، ١٩٩٥، صفحة ٤٩٢). نلحظ من النص التاريخي مدى اهمية الموقع الجغرافي لمدينة الكوفة من حيث صفاء الجو ونقاوة الهواء وعذوبة الماء مما ينعكس ايجابا على المجتمع الكوفي وقتذاك .

ولمدينة الكوفة مكانة قدسية حيث ذكرها الإمام علي (عليه السلام) بقوله "**الكوفة كنز الإيمان وحجة الإسلام وسيف الله ورمحه يضعه حيث يشاء ،والذي نفسي بيده لينصرن الله بأهلها في شرق الأرض وغربها كما انتصر بالحجاز**" (الحموي، ١٩٩٥، صفحة ٤٩٢).

بعد التمعن بالروايات التاريخية اتضح أن موقع الكوفة أعطى لها اهمية جغرافية وذلك لتربعها على كتفين هما الصحراء من جانب والماء من جانب آخر وهذا ساعد على جذب السكان إليها ،وقد ذكر المستشرق ما سينون: "**ات تمصير الكوفة وتثبيت القبائل البدوية الفاتحة واستقرارها على حافة الصحراء في ريف مماس الى لسان من الرمل اليابس في منطقة تروي بمياه شط عظيم وهو نهر الفرات**" (ماسينون، ١٩٨١، صفحة ١٥). اضافة الى ذلك قرب الكوفة من مدينة الحيرة (عاصمة المناذرة) تلك المدينة المتربعة على ساحل بحر النجف واتصالها بريف العراق وسواده وبأرض شبه الجزيرة العربية والشام (الحكيم).

ثالثا: الفسطاط

الفسطاط مدينة إسلامية في مصر تأسست نتيجة الفتوحات الاسلامية، وكان للجانب العسكري دور في تمصيرها وقد تم تأسيسها سنة ٢٠هـ، اما معنى كلمة الفسطاط فأن هناك رأي يشير الى ان فسطاط ارتبطت بالخيمة التي اتخذها عمر

ابن العاص[1] في هذه المنطقة وهي عبارة عن خيمة من الشعر (البكري، ١٤٠٣هـ)، (الحموي، ١٩٩٥). وهناك رأي آخر في تفسريها وتعني ضربا من الأبنية، بينما يذهب البعض بأن المقصود بها مجتمع اهل الكورة حول المسجد الجامع فيقال لمثل هذا التجمع هؤلاء اهل الفسطاط. (ناجي، ٢٠٠١)

أما نشأتها، فبعد الانتصار الذي حققه العرب على العدو في الاسكندرية التي فتحت عنوة بات من الازم ان يتخذوا مكانا للمقاتلين العرب وقد عرضت على الخليفة عدة خيارات منها الاسكندرية حيث تتمتع بموقع جغرافي واستراتيجي مهم كما انها مدينة مستقرة الا ان القرار لم ينفذ لأنها مدينة غير مأمونة اتجاه اي هجوم بحري او نهري مفاجئ وبع المداولات كتب عمر ابن العاص الى الخليفة عمر ابن الخطاب في الحصول على الموافقة فأستفسر الخليفة عن صفات هذه المدينة وسأله فيما إذا كان يفصلها عن مركز الخلافة (ماء) بمعنى نهر فأجابه عمر بن العاص بأن هناك نهر النيل (ابن عبد الحق، ١٤١٨هـ)، (القزويني، د.ت)

وبعد المراسلات التي تمت بين عمرو بن العاص والخليفة عمر تبين مدى أهمية العامل البيئي والجغرافي في اختيار مدينة الفسطاط ، وظهر ذلك من خلال اعتراض الخليفة على مدينة الاسكندرية وقد أبلغ القائد بأن لابد من وجود مواصفات في اختيار المدينة حالها حال المدن التي تم تمصيرها مثل البصرة والكوفة قائلا: "**أني لا احب ان ننزل بالمسلمين منزلا يحول الماء بيني وبينهم في شتاء ولا صيف** " **وفي رواية اخرى "لا تجعلوا بيني وبينكم ماء متى اردت ان اركب إليكم راحلتي إليكم راحلتي حتى اقدم عليكم قدمت**". (المقريزي، ١٤١٨هـ، صفحة ٨٥) (فعرض عمر بن العاص مشورة الخليفة على جماعته لاختيار موضع اخر فأجمعوا بالعودة الى الخيمة (الفسطاط) التي سبق وان كانت مقر للقيادة وقد شد دوا اصحاب هذا الرأي على عدة أمور إذ قالوا :"نرجع ايها الأمير إلى فسطاطك فنكون على ماء وصحراء (ابن عبد الحق، ١٤١٨هـ، صفحة ١٠٣٦).

مما تقدم يبدو أن للعامل البيئي دور مهم في تمصير البلدان الإسلامية، فالماء والصحراء هما العنصران البارزان اللذان يمثلان استراتيجية العرب في اتخاذ الأمصار ،أي يكون الموضع المنتخب قريبا من مشارب المياه وكذلك على أطراف البر ومتصل بالصحراء، على هذا تم الانتقال إلى الفسطاط وأصبحت هي المركز الاداري والسياسي بعد أن كانت الاسكندرية .

المبحث الثاني: اساسيات اختيار مدن واسط وبغداد:

أولاً: واسط :

إن تسمية مدينة واسط كان مثار خلاف بين المؤرخين والجغرافيين، وتوجد عدة آراء حول تسمية المدينة بهذا الاسم، منها: أن الحجاج بن يوسف الثقفي حين بنى المدينة بناها في موقع جنوبي العراق "**يتوسط بين الكوفة والعراق**" (بحشل، ١٩٨٦، صفحة ٣٢). وذكر أيضا إنها سميت بهذا الاسم لوقوعها بين قصبات العراق ومدن الأحواز (المقدسي البشاري، ١٩٠٦). وذكر أن الحجاج بن يوسف الثقفي لما فرغ من بناء واسط أرسل إلى الحاكم الأموي عبد الملك بن مروان قائلا له: "**إني اتخذت مدينة في كرش من الأرض بين الجبل والمصرين ، واسميتها واسطا لذلك سمي أهلها**

---

* عمرو بن العاص بن هاشم بن سعيد السهمي وأمه سبية يقال لها النابغة من عنزه كان قصيرا يخضب بالسواد اسلم قبل فتح مكة تولى مصر سنة ٢٠هـ في خلافة عمر بن الخطاب وبقى واليا على مصر في خلافة عثمان بن عفان وبعد مقتل عثمان عينه معاوية واليا على مصر سنة ٣٨هـ توفي في مصر سنة ٤٣هـ وكان عمره حوالي ٩٠سنة . ابن عساكر ،تاريخ دمشق،ج٤٦/١١١.

الكرشيين" (البلاذري، ١٩٨٨، صفحة ٢٨٨). وسميت المدينة بواسط القصب لكثرة وجود القصب فيها ، ويظهر أن القصب كان موجودا على أرضها قبل ولاية الحجاج على العراق . (بحشل، ١٩٨٦) ،أو إنها سميت بواسط نسبة إلى القصر الذي شيده الحجاج بين البصرة والكوفة (ابن الجوزي، ١٩٣٨) . ويبدو أن القصر الذي بناه الحجاج كان في موضع يتوسط المدينة لذلك سميت نسبة إليه.

بعد استعراض الآراء العديدة حول تسمية المدينة يبدو ان الرأي الذي يقول انها سميت بواسط نسبة إلى توسطها بين البصرة والكوفة وبين قصبات العراق والأحواز هو الرأي الراجح و الأقرب للصواب.

وعن نشأتها فبعد وصول والي الدولة الأموية الحجاج بن يوسف الثقفي إلى العراق سنة ٧٥ أقام أولا في مدينة الكوفة، ثم رحل إلى مدينة البصرة (بحشل، ١٩٨٦). قامت ضده العديد من الحركات والثورات في مدينتي البصرة والكوفة بين سنتي ٧٥ وسنة ٨٣ هـ، ويبدو أن الحجاج واجه مصاعب كثيرة في القضاء على تلك الحركات، لهذا أخذ بالانتقال في إقامته بين البصرة والكوفة حسب ما اقتضته الظروف العسكرية السائدة في العراق، فعندما قام عبد الرحمن بن الأشعث بالثورة على الحكم الأموي في سنة ٨١ هجرية انضمت إليه أعداد كبيرة من أهالي مدينتي الكوفة والبصرة، وقد قتل الكثير من أهالي المدينتين في تلك الثورة (الطبري ا.، ١٩٠١) ، (الاثير، د.ت)، ولا شك ان صدور أهالي الكوفة والبصرة انطوت على الحقد على الحجاج ، لذلك لم يعد بإمكانه أن يتخذ من أحد المصرين مقرا لحكمه ،فبقاءه وسط جماعات معارضة لا تدين له بالطاعة يعد ضربا من المجازفة.

فكر الحجاج بإنشاء مدينة في موضع وسط بين البصرة والكوفة ليسهل له الاتصال بالمدينتين ومواجهة أي ثورة أو حركة معارضة تقوم فيهما ضده ويشرف على أعمال السكان فيهما (اليعقوبي، ١٨٦٠) رغم أن العامل الاداري والعسكري من أهم اسباب اختيار موضع مدينة واسط ، ألا أن هناك عوامل أخرى تعد من أساسيات اختيار المدن دفعت الحجاج الثقفي لاختيار موضع واسط أهمها العوامل الطبيعية و الصحية ، فهذا العوامل كانت حاضرة في ذهن الحجاج عندما فكر في بناء مدينته ، وفي هذا الصدد ذكر ابن الفقيه الهمذاني ان الحجاج عندما أراد بناء واسط قال لرجل ممن يثق بعقله: " أمض وابتغ لي موضعا في كرش من الأرض ابني فيه مدينة وليكن على نهر جار " (ابن الفقيه الهمذاني، ١٩٩٦، صفحة ٢٨٣) ، فأخذ يلتمس له موضعا حتى سار إلى واسط القصب وهي قرية فوق واسط ، " **فبات بها واستطاب ليلها واستعذب نهارها واستمرأ طعامها وشرابها ... فكتب إلى الحجاج بالخبر ومدح له الموضع ، فكتب إليه : اشتر لي موضعا ابني فيه مدينة** " (الحموي، ١٩٩٥، صفحة ٨٨٣)، وبعد اختيار موضع المدينة أرسل الحجاج عددا من الأطباء للتأكد من سلامة الموضع وخلوه من الأوبئة والأمراض فذهبوا يتجولون ما بين عين التمر* إلى البحر وجولوا العراق ورجعوا إليه وقالوا: "**ما أصبنا مكانا أوفق من موضعك هذا في هفوف الريح وأنف البرية** " (الحموي، ١٩٩٥، صفحة نفسها) .وتذكر المصادر أن الحجاج خرج بنفسه للبحث عن موضع المدينة (الطبري، ١٤١٥هـ) ، (الاثير، د.ت)، (الحموي، ١٩٩٥) فأختار موضعا في منطقة منبسطة وسهلة "كثيرة الخيرات وافرة الغلات تشقها دجلة، وانها في فضاء من الأرض عذبة الماء ، صحيحة الهواء " (القزويني، د.ت ، صفحة ٤٨٧)، كثيرة النخل والزروع و الشجر وهوائها أصح من هواء مدينة البصرة ، بها عمارة متصلة ولها نواح فسيحة وليس فيها بطائح (ابن حوقل، ١٩٩٢)، ذات جانبين وجامعين وبينهما جسر ، واسعة السواد، حسنة الأسواق (المقدسي البشاري، ١٩٠٦)، ولإدراك الحجاج أهمية الزراعة

* عين التمر :هي بلدة قديمة على طرف البادية ، تقع في مدينة كربلاء غربي الكوفة ، فتحها خالد بن الوليد في سنة ١٢ هجرية (الحموي، ١٩٩٥، صفحة ٧٥٩).

والغطاء النباتي في حماية البيئة فانه ابدى اهتماما كبيرا بزيادة رقعة الأراضي الزراعية لتكون مصدر رزق لأهلها وحفر الأنهار كنهر الزاب ونهر النيل ونهر الصين لغرض ري الزروع ، وأقام عدد من الجسور والقناطر لحماية المدينة من الفيضان (البلاذري، ١٩٨٨)، ويبدو ان الحجاج ان تكون أراضي مدينة واسط صالحة لكي يطيب هواء المدينة فأن الحجاج رغب في إحياء أراضي مدينته فأكثر من الغرس والبناء فيها وأحاطها بالزروع والشجر (الحموي، ١٩٩٥) ؛ (طه، ٢٠٠٥) ،من هذه النصوص يتضح ان الظروف الصحية والمناخية كانت سببا في اختيار موضع واسط من قبل الحجاج، يبدو ان طبيعة الموقع الذي اختاره الحجاج لإقامة مدينته تتفق مع رغبة العرب المسلمين في اختيار أماكن خلوية فسيحة كمواقعهم في شبه الجزيرة العربية (المعاضيدي، ١٩٧٦) . بعد التمعن بهذه النصوص حول اختيار موضع مدينة واسط يتضح لنا ان من أهم اسباب اختيارها كانت لأسباب صحية ومناخية وان الحجاج بن يوسف الثقفي وضع نصب عينه عند بناء واسط البيئة المستدامة من خلال تأكيده على خلو موضع المدينة من الأمراض والأوبئة، وطيب المناخ ونهر جار ليزود المدينة بموارد المياه ، وهذا يدل على إنه حذا حذو أسلافه العرب الذين حرصوا على أن تكون المواقع المختارة لإنشاء المدن العربية صحية وغير موبوءة ومناظرها مما ترتاح لها النفس ، وهذا ما سار عليه الحجاج في بناء مدينة واسط.

ثانياً: بغداد :

للمؤلفين العرب المسلمين آراء متنوعة وتخريجات عديدة في معنى لفظة بغداد واشتقاقها شأنهم تجاه كل كلمة غريبة عن اللغة العربية، ألا أن المصادر التاريخية تكاد تجمع ان اسم بغداد هو أعجمي ، فقيل ان أسمها فارسي وان العرب غير حروفه بما يتناسب ولفظهم للكلمة ، وإن اصل اسم بغداد جاء من كلمة باغ ذاد ومعناه بستان الرجل (ابن المرزبان، ١٩٩٨)، (ابن منظور، ١٤١٤ هـ) ، (الازهري، ١٩٦٤) ، وسميت بغداد بهذا الاسم نسبة إلى الملك الفارسي كسرى عندما أهدي له شاب خصي من المشرق فأقطعه بغداد، وكان هنالك صنم يعبد يدعى (البغ) فجاء عنه قوله أعطاني صنما ،فداد معناه العطية (البغدادي، د.ت) وهناك من أعطى مفردة بغداد صيغ اخرى مختلفة منها بغدان وتعني هبة الله أو عطية الله (الحسني، ١٩٨٤) ،وهناك من أرجع أصل تسمية بغداد إلى الآرامية ومعناه باب الاله ،فذكروا الاسم نفسه بكدادا وبل دود (الحموي، ١٩٩٥)، ويشير أحد الباحثين إلى ان مدينة بغداد من المدن الكلدانية القديمة العهد بحوالي الفي عام قبل الميلاد مكتوبة بالحروف المسمارية وكانت تحت اسم بندادو ويعني مدينة الاله (زايد، ١٩٦٦).

وهناك تسميات أخرى لمدينة بغداد ذكرها المؤرخين، منها الزوراء وتعني الدنية المعوجة (الزمخشري، د.ت) ولفظة الزوراء هي تأنيث الأزور ومعناه الشيء المائل، والأزورار عن الشيء الإنحراف عنه، وأشار ياقوت الحموي إلى إن تسمية الزوراء أطلقت على الجانب الشرقي من بغداد ، لأزورار في قبلتها (الحموي، ١٩٩٥) ، وقيل في تسمية بغداد بالزوراء أن ابو جعفر المنصور عندما أكمل بناءها جعل أبوابها مزورة عن الأبواب الخارجية لها أي منحرفة ومخالفة لتلك الابواب (ابن سباهي، ٢٠٠٦)

وعرفت بغداد بمدينة السلام أو دار السلام سماها بهذا الاسم أبو جعفر المنصور، وهذا الاسم فيه إشارة واضحة إلى الصبغة الدينية للمدينة ، فالسلام أسم من أسماء الله الحسنى (الحموي، ١٩٩٥) وتفاؤلا بما ورد في القرآن الكريم عن الجنة إذ يدعوها دار السلام في قوله وعز وجل:((لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعلمون)) (سورة يونس ، الآية ٢٥) ، قيل إن سبب تسميتها بمدينة السلام يرجع إلى النهر الذي قامت عليه فنهر دجلة الذي قامت بغداد على ضفافه كان يعرف قديما بوادي السلام (البغدادي، د.ت) ، (الموسوي، ١٩٨٢).

فكر الخلفاء العباسيين منذ الأيام الأولى لتأسيس دولتهم ببناء عاصمة لدولتهم، ألا أن الظروف التي مرت بها الدولة العباسية حالت دون ذلك، ولما تولى أبو جعفر المنصور مقاليد الحكم في الدولة العباسية في سنة ١٣٦ هجرية قرر اتخاذ عاصمة جديدة له، فنزل في بادى ء الأمر مدينة الهاشمية في الكوفة، إلى جانب الكوفة وبنى الرصافة حتى ثارت عليه الراوندية * ومنعوه ،وبعد تلك الثورة كره المنصور البقاء في تلك المدينة، لذلك سعى للبحث عن موضع آخر غير مدينة الكوفة (الطبري ا.، ١٩٠١) وهكذا اتضح ان لثورة الراوندية حفزت المنصور لبناء عاصمة جديدة له

وقد خرج أبو جعفر المنصور للبحث عن مكان آخر لاتخاذه مسكنا له ولجنوده ،اشار الطبري أن المنصور توجه إلى مدينة الموصل ثم رجع إلى بغداد، واصل المنصور رحلة البحث عن موضع بناء عاصمته ،فبعث رجاله للبحث عن موضع المدينة واستشار عددا من كتابه ووزراء دولته حول طيب المكان وكونه مناسبا ،قائلا لهم: " ما رأيكم بهذا الموضع ،فقالوا: موضع صالح وموافق ،فقال لهم: صدقتم" (الطبري ا.، ١٩٠١، صفحة ١٣٥)، وذكرت الروايات أن المنصور بعث روادا يرتادون له مكانا ينزله "واسطا رافقا بالعامة والجند فنعت له موضع قريب من بارما" (الطبري ا.، ١٩٠١، صفحة ١٣٧)؛ (الحموي، ١٩٩٥) "وذكر ان المنصور ذكر له غذاء طيب ؛ سار اليه بنفسه ليطلع عليه عن قرب وبات فيه وكرر النظر فيه فوجده مكانا طيبا ملائما ، من هذه النصوص يتبين حرص أبو جعفر المنصور أن يكون موقع المدينة معتدل المناخ في الصيف والشتاء ،تتوفر فيه شروط الصحة التي تجعله مكانا صالحا لإقامة مدينته ، ويمكن تلمس مدى حرص المنصور في اختيار موضعا ملائما للمدينة من الرواية التي أوردها الطبري" ان المنصور نزل الدير الذي هو حذاء قصره المعروف بالخلد، فدعا بصاحب الدير واحضر البطريق صاحب رحا البطريق وصاحب بغداد وصاحب المخرم وصاحب الدير المعروف ببستان القس وصاحب العتيقة فسألهم عن مواقعهم وكيف هي في الحر والبرد والامطار والوحول والبق والهوام، فأخبره كل واحد منهم بما عنده من العلم ،فوجه رجالا من قبله وامر كل واحد منهم ان يبيت في قرية منها ، فبات كل رجل منهم في قرية ،وأتاه بخبرها ،واتفق قولهم على طيب الموقع وصحة هواءه" (الطبري ا.، ١٩٠١، صفحة ١٤٨) ، من هذا النص التاريخي نرى ان الظروف الصحية والمناخية للمنطقة هي التي دفعت ابو جعفر المنصور لاختيار هذا المكان لإقامة مدينة بغداد، ولم يكتف المنصور بإرسال الرواد للموضع او السؤال عن طبيعة المكان بل انه أخذ يتحرى الموضع بنفسه فذهب إلى دير في موضع قصر الخلد فوجده قليل البق والهوام فقال : "هذا موضع أرضاه ويصلح ان تبنى فيه مدينة " (الطبري ا.، ١٩٠١، صفحة ١٦٩) من خلال هذه الروايات التاريخية يتضح ان الموقع الذي اشار اليه ابي جعفر المنصور واستحسنه امتاز بصفات عدة تجعل منه مؤهلا وملائما لإنشاء العاصمة عليه، فالمكان يتوسط العراق ويقع على ملتقى طرق التجارة المائية والبرية ،علاوة على ان الاراضي المحيطة به هي أراض خصبة صالحة للزراعة وملائمة بيئيا واقتصاديا لإقامة المدينة، ومما يؤيد هذا ان قول صاحب بغداد لأبي جعفر المنصور: **"فأنت تكون بين نخل وقرب الماء، فأن أجدب طسوج وتأخرت عمارته كان في الطسوج الاخر العمارات وانت يا أمير المؤمنين على الصراة، تجيئك الميرة في السفن من المغرب في الفرات، وتجيئك طرائف مصر والشام ،وتجيئك الميرة في السفن من الصين والهند والبصرة وواسط في دجلة، وتجيئك الميرة من ارمينية وما اتصل بها حتى تصل إلى الزاب، وتجيئك الميرة من الروم و امد والجزيرة والموصل في دجلة"** (الطبري ا.، ١٩٠١، صفحة ١٥٣) وبعد ان درس الخليفة ابو جعفر المنصور موقع المدينة التي ستكون عاصمة الدولة الجديدة بشكل مستفيض اثناء الجولة التي

* الراوندية :هم جماعة من خراسان كانوا على دعوة ابو مسلم الخراساني، كانوا يعتقدون بتناسخ الأرواح والايمان بمذهب الحلول ، قاموا بثورة ضد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور في سنة ١٤١هج وكادوا الفتك به في هاشمية الكوفة ، عرفوا بهذا الاسم نسبة إلى زعيمهم ابو الحسين احمد بن يحيى الراوندي (الشهرستاني، ٢٠٠٦، صفحة ١٩٤).

قام بها إلى الموضع وقارنها بما لديه من معلومات حصل عليها من أهالي المنطقة ومن بعض الوفود الذين بعثهم خلص إلى توفر الشروط التي كان يهدف اليها من موقع العاصمة ، فقرر البدء ببناء المدينة واتخذ له معسكرا على نهر الصراة وشرع بتخطيط المدينة في الجزء الشرقي من نهر دجلة سنة ١٤٥ هـ /٧٦٢م (البغدادي، د.ت) وقد استغرق بناء بغداد ما بين ١٤٥-١٤٩ حيث اصبحت جاهزة للسكنى ، بعدما انفق على بنائها أربعة ملايين وثمانمائة وثلاث وثلاثين الف درهم (الاثير، د.ت) .

وهكذا نجد بعد استعراض بعض النصوص الواردة في المصادر التاريخية و البلدانية حول بناء مدينة بغداد ان اختيار موقع المدينة لم يكن امرا مرتجلا ؛ إنما جاء بعد بحث متواصل ودقيق، كشفت نتائجه لاحقا إنه كان اختيارا موفقا، وإن العوامل البيئية والصحية كانت من أهم اسباب اختيارها، وهذا دليل واضح على أن أبو جعفر المنصور وضع نصب عينه في بناء مدينة بغداد معيار البيئة المستدامة للمدن .

الخاتمة:

بعد أن فرغنا من كتابة بحثنا الموسوم (أساسيات اختيار مشاهير المدن الإسلامية حتى القرن السابع للهجرة –دراسة في البيئة المستدامة–) لابد من تسجيل أهم الاستنتاجات التي توصلنا إليها :

١– كشف البحث أن للعرب المسلمين رؤية تخطيطية عملية في بناء المدن و فكر حضاري مدني في مجال العمران وبناء المدن سبقوا به الأمم والأقوام الأخرى من خلال الشروط التي وضعوها المتعلقة بتأسيس المدن.

٢– راعى العرب المسلمين في اختيار مواقع المدن الإسلامية التي بنوها خارج شبه الجزيرة العربية سواء في العراق أو مصر أو بلاد المغرب في العصر الراشدي والعصر الأموي والعصر العباسي توفر العوامل البيئية و الطبيعية و الصحية لبناء المدن الإسلامية .

٣– أن اختيار موقع مدينة البصرة اعتمد على توفر العوامل البيئية والصحية والجغرافية اللازمة لتأسيس المدن كموقعها على طرف البر وعدم وجود أية حواجز تفصلها عن المدينة المنورة عاصمة الدولة العربية الإسلامية في العصر الراشدي ،وكانت دلالات تلك العوامل واضحة في اختيار موقع المدينة و معيار البيئة المستدامة كان حاضرا وقتذاك في بنائها .

٤– أن من أهم أسباب اختيار موقع مدينة البصرة في العصر الراشدي هو قربها من مصادر المياه وكثرة القصب وتوفر المراعي والمشارب والمحطب ، وهذه تعد من أهم العوامل البيئية الطبيعية اللازمة لتأسيس المدن الاسلامية .

٥– أن اختيار موقع مدينة الكوفة لم يكن اختيارا عبثيا ؛ إنما كان اختيارا مدروسا توفرت فيه الجوانب الصحية والبيئية الطبيعية كخلو المنطقة من الحشرات والهوام وارتفاع مكان المدينة وتربعها على كتفين هما الصحراء من جانب والماء من جانب آخر مما ساعد على جذب السكان إليها ، وهذا يدل على أن عوامل المنطقة البيئية والطبيعية كانت سببا رئيسيا في بناء مدينة الكوفة .

٦– كان للعامل البيئي دور مهم في اختيار موقع مدينة الفسطاط في عصر الخلافة الراشدة ، فموقعها القريب من موارد المياه و المتصل بالصحراء على أطراف البر كانت عاملا مهما في بناء المدينة ، فالماء والصحراء عنصران رئيسيان مثلا استراتيجية العرب المسلمين في اتخاذ الأمصار ويكشف عن رؤية حضارية متقدمة في مجال العمران وبناء المدن وفق معيار التنمية البيئية.

٧- أن العوامل البيئية والصحية لمدينة واسط كطيب المناخ والأنهار الجارية التي تزود المدينة بموارد المياه وخلو موقع المدينة من الأوبئة والأمراض وطبيعة موقعها تتفق مع رغبة العرب المسلمين في اختيار أماكن خلوية مفتوحة فسيحة كمواقعهم في شبه الجزيرة العربية تعد من أساسيات بناء مدينة واسط في العصر الأموي على يد الحجاج بن يوسف الثقفي الذي وضع في الحسبان توفر عنصر البيئة المستدامة في اختيار موقع بناء المدينة .

٨- أن اختيار موقع مدينة بغداد لم يكن أمرا مرتجلا ؛ إنما جاء بعد بحث متواصل كشفت نتائجه لاحقا إنه كان اختيارا موفقا، وأن الأسباب البيئية والصحية كاعتدال المناخ وطيب الموقع وخلوه من الأوبئة وصحة هواءه وتوفر مصادر المياه كانت من أهم أسباب اختيار موقع المدينة ، وهذا يؤكد أن الخليفة أبو جعفر المنصور مؤسس المدينة كان قد وضع نصب عينه معيار البيئة المستدامة في بناء مدينة بغداد في العصر العباسي.

المصادر والمراجع :

أولا : القرآن الكريم

١. سورة يونس، الآية ٢٥.

ثانيا : المصادر والمراجع

١. الاثير. (د.ت). *الكامل في التاريخ* . بيروت : دار الكتب العلمية .

٢. ابو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني. (٢٠٠٦). *الملل والنحل* (المجلد ط١). بيروت: دار الغرب الاسلامي.

٣. ابو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي. (١٩٣٨). *المنتظم في تاريخ الملوك والامم*. بيروت: دار صادر.

٤. ابو القاسم محمد بن علي ابن حوقل. (١٩٩٢). *صورة الارض* (المجلد ط١). بيروت: مكتبة الحياة.

٥. ابو بكر احمد بن محمد ابن الفقيه الهمذاني. (١٩٩٦). *مختصر كتاب البلدان*. بيروت.

٦. ابو بكر بن علي بن ثابت بن احمد بن مهدي الخطيب البغدادي. (د.ت). *تاريخ بغداد* . بيروت – لبنان : دار الكتب العلمية .

٧. ابو جعفر محمد بن جرير الطبري. (١٩٠١). *تاريخ الرسل والملوك*. القاهرة: دار المعارف.

٨. ابو عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري. (١٤٠٣ه). *معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع*. بيروت: عالم الكتب.

٩. ابو محمد عبدالله بن درستويه ابن المرزبان. (١٩٩٨). *تصحيح الفصيح* (المجلد ط١). القاهرة.

١٠. ابو منصور محمد بن احمد ابن الازهر الازهري. (١٩٦٤). *تهذيب اللغة* . وزارة المعارف المصرية : القاهرة .

١١. احمد بن ابي يعقوب جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي. (١٨٦٠). *تاريخ اليعقوبي* . بيروت : دار صادر .

١٢. احمد بن علي تقي الدين المقريزي. (١٤١٨ه). *المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار* (المجلد ط١). بيروت: دار الكتب العلمية.

١٣. احمد بن يحيى بن جابر البلاذري. (١٩٨٨). *فتوح البلدان*. بيروت: دار مكتبة الهلال.

١٤. اسلم بن سهل الرزاز الواسطي بحشل. (١٩٨٦). *تاريخ واسط* (المجلد ط١). بيروت.

١٥. حسن عيسى الحكيم. *تخطيط المدينة العربية الاسلامية (النجف والكوفة انموذجا)*. النجف: جامعة الكوفة – كلية الاداب .

١٦. زكريا بن محمد بن محمود القزويني. (د.ت). *اثار البلاد واخبار البلاد* . بيروت : دار صادر .

١٧. شمس الدين ابي عبدالله محمد بن احمد المقدسي البشاري. (١٩٠٦). *احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم* . بيروت : دار الكتب العلمية .

١٨. عباس مصطفى الموسوي. (١٩٨٢). *العوامل التاريخية لنشأة المدن العربية الاسلامية* . بغداد : وزارة الثقافة والاعلام .

١٩. عبد الجبار ناجي. (٢٠٠١). *دراسات في تاريخ المدن العربية الاسلامية*. بيروت : شركة المطبوعات.

٢٠. عبد الحميد زايد. (١٩٦٦). *الشرق الخالد مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الادنى*. القاهرة: دار النهضة العربية.

٢١. عبد العزيز الدوري وعبد الرزاق الحسني. (١٩٨٤). *بغداد* (المجلد ط١). بيروت: دار الكتاب اللبناني.

٢٢. عبد القادر سليمان المعاضيدي. (١٩٧٦). *واسط في العصر الاموي* (المجلد ط١). بغداد: دار الحرية.

٢٣. عبد المؤمن ابن شمائل ابن عبد الحق. (١٤١٨هـ). *مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع* (المجلد ط١). بيروت: دار الكتبة العلمية.

٢٤. عبد الواحد ذنون طه. (٢٠٠٥). *العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي* (المجلد ط٢). بيروت: مكتبة بستان المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع.

٢٥. لويس ماسينون. (١٩٨١). *خطط البصرة وبغداد* (المجلد ط٣). (ابراهيم السمرائي، المترجمون) بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

٢٦. محمد ابن مكرم بن علي ابن منظور. (١٤١٤ هـ). *لسان العرب* (المجلد ط٣). بيروت: دار صادر.

٢٧. محمد بن جرير الطبري. (١٤١٥هـ). *تاريخ دمشق*. دار الفكر.

٢٨. محمد بن علي ابن سباهي. (٢٠٠٦). *اوضح المسالك الى معرفة البلدان والممالك* (المجلد ط١). بيروت: دار الغرب الاسلامي.

٢٩. محمد بن عمرو الزمخشري. (د.ت). *اساس البلاغة* . بيروت : دار الكتب العلمية .

٣٠. محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي. (١٢٠٥ هـ). *تاج العروس من جواهر القاموس*. دار الهداية.

٣١. ياقوت شهاب الدين ابو عبدالله الحموي. (١٩٩٥). *معجم البلدان*. بيروت: دار صادر.